

تفسير البحر المحيط

@ 35 @ عَلايَهُ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلاَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ
رَبُّكُمْ مَنْ أَرْزَأَكُمْ بِلِّ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَلَّذِينَ لَمَّ
تَنْتَهُ بِالْهُوطِ * لُوطٍ * لَتَذْكُورَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنْ
لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْفَعَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ *
فَنَجِّيَنَاهُ وَأَهْلَاهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ
دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ
الْمُنذَرِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وََمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ *
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ { . .

أتأتون : استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ ؛ { * والذكران } : جمع ذكر ، مقابل الأنثى .
والإتيان : كناية عن وطء الرجال ، وقد سماه تعالى بالفاحشة فقال : { لَقَوْاْ بِهِ
أَتَأْتُونَ الْفُفَا حِشَّةَ مَا سَيَقْكُمُ بِهِا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } ، هو
مخصوص بذكران بني آدم . وقيل : مخصوص بالغرباء . { وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ } : ظاهر في
كونهم لا يأتون النساء ، إما البتة ، وإما غلبة . { مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ } :
يدل على الإباحة بشرطها . { مَنْ أَرْزَأَكُمْ } : أي من الإناث . ومن إما للتبيين لقوله
: { مَا خَلَقَ } ، وإما للتبعيض : أي العضو المخلوق للوطء ، وهو الفرج ، وهو على حذف
مضاف ، أي وتذرون إتيان . فإن كان ما خلق لا يراد به العضو ، فلا بد من تقدير مضاف آخر ،
أي وتذرون إتيان فروج ما خلق . { بَلِّ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ } : أي متجاوزون الحد
في الظلم ، وهو إضراب بمعنى الانتقال من شيء إلى شيء ، لا أنه إبطال لما سبق من الإنكار
عليهم وتقبيح أفعالهم واعتداؤهم ؛ إما في المعاصي التي هذه المعصية من جملتها ، أو من
حيث ارتكاب هذه الفعلية الشنيعة . وجاء تصدير الجملة بضمير الخطاب تعظيماً لقبح فعلهم
وتنبيهاً على أنهم هم مختصون بذلك ، كما تقول : أنت فعلت كذا ، أي لا غيرك . ولما نهاهم
عن هذا الفعل القبيح توعده بالإخراج ، وهو النفي من بلده الذي نشأ فيه ، أي : { لَلَّذِينَ
لَمَّ تَنْتَهُ } عن دعواك النبوة ، وعن الإنكار علينا فيما نأتيه من الذكران ، فننفيك
كما نفينا من هنا قبلك . ودل قوله : { مِنَ الْمُخْرَجِينَ } على أنه سبق من نهاهم
عن ذلك ، فنفوه بسبب النهي ، أو من المخرجين بسبب غير هذا السبب ، كأنه من خالفهم في
شيء نفوه ، سواء كان الخلاف في هذا الفعل الخاص ، أم في غيره . .

{ قَالَ إِنْ نَزَّ لِعَمَلِكُمْ } : أي للفاحشة التي أنتم تعملونها . ولعملكم يتعلق إما بالقالين ، وإن كان فيه أل ، لأنه يسوغ في المجزورات والظروف ما لا يسوغ في غيرها ، لاتساع العرب في تقديمها ، حيث لا يتقدم غيرها ؛ وإما بمحذوف دل عليه القالين وكونه بغض القالين يدل على أنه يبغض هذا الفعل ناس غيره هو بعضهم ، ونبه ذلك على أن هذا الفعل موجب للبغض حتى يبغضه الناس . ومن القالين أبلغ من قال لما ذكرنا من أن الناس يبغضونه ، ولتضمنه أنه معدود ممن يبغضه . ألا ترى إن قولك : زيد من العلماء ، أبلغ من : زيد عالم ، لأن في ذلك شهادة بأنه معدود في زمريهم . وقال أبو عبد الله الرازي : القلى : البغض الشديد ، كأنه بغض فقلي الفؤاد والكبد . انتهى . ولا يكون قلى بمعنى أبغض . وقلا من الطبخ ؛ والشيء من مادة واحدة لاختلاف التركيب . فمادة قلا من الشيء من ذوات الواو ، وتقول : قلو اللحم فهو مقلو . ومادة قلى من البغض من ذوات الياء ، قليت الرجل ، فهو مقلى . قال الشاعر : .

ولست بمقلي خلال ولا قال .

ولما توعده بالإخراج ، أخبرهم ببغض عملهم ، ثم دعا ربه فقال : { رَبِّ زَجِّدْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ } : أي من عقوبة ما يعملو من المعاصي . ويحتمل أن يكون دعاء لأهله بالعصمة من أن يقع واحد منهم في مثل فعل قومه . ودل دعاؤه بالتنجية لأهله على أنهم كانوا مؤمنين . ولما كانت زوجته مندرجة في الأهل ، وكان طاهر دعائه دخولها في التنجية ، وكانت كافرة استثنيت في قوله : { فَذَجِّدْنَاهُ وَأَهْلَاهُ أَجْمَعِينَ } * إلاَّ عَجُوزاً في الغابرين { ، ودل قوله : عجوزاً ، على أنها قد عسيت في الكفر ودامت فيه إلى أن صارت عجوزاً . ومن الغابرين صفة ، أي من الباقيين من لذاتها وأهل بيتها ، قاله أبو عبيدة .